﴿وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ٤٦﴾ [الأعراف: 46]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

الرّبْطُ بين حالِ أهلِ الجنّةِ والنّارِ، وحالِ أصْحابِ الأعرافِ فيما بينَهُما

لمّا ذكرَ أهلَ الجنَّةِ وأهلَ النّارِ وجَزاءَ كُلٍّ منهما، ثُمَّ مُناداةَ أصحابِ الجنَّةِ لأصحابِ النّارِ؛ ذكَرَ الحِجابَ المضروبَ بينَهُما، وأصحابَهُ الذينَ هم عَلَيْهِ، فقال سُبحانَهُ: ﴿وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ﴾.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿حِجَابٞۚ﴾: الحاءُ والجيمُ والباءُ تدورُ اشتقاقاتُها على معنَى المَنْعِ والسَّتْرِ، تقولُ: حَجَبْتُهُ، أي: مَنَعْتُهُ[1]، وكُلُّ شيءٍ مَنَعَ شَيئًا مِن شيءٍ؛ فقَدْ حَجَبَه[2]، ومنه: احْتَجَبتِ الشَّمْسُ في السَّحاب؛ إذا اسْتَتَرَتْ فيه[3].

والحجابُ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ﴾، السّاتِرُ الحاجِزُ بين أهلِ الجنةِ وأهلِ النار، والمرادُ بهِ السّورُ المذكورُ في قولِه سُبحانَهُ: ﴿فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ﴾[4] [الحديد: 13].

2) ﴿ٱلۡأَعۡرَافِ﴾: العَيْنُ والرّاء والفاءُ تدورُ تصريفاتُها على تَمْييزِ أعلَى الشَّيءِ أو ظاهِرِهِ بِمَلْمَحٍ يدلُّ عَلَيْهِ، ومنه: عُرْفُ الجَبَلِ؛ وهو أعاليه، وكلُّ مُرْتَفَعٍ عِنْدَ العرَبِ: أعْرافٌ، ومنه قولُ الشّاعرِ:

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حجب).
(2) الخليل بن أحمد، العين: (حجب).
(3) ابن دريد، جمهرة اللغة: (حجب).
(4) ابن جرير، جامع البيان: 12/449.

كُلُّ كِنازٍ لَحْمُهُ نِيافِ *** كالعَلَمِ المُوفِي عَلَى الأعْرافِ[1]

والأعرافُ في قولِ اللّه تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَٰهُمْۚ﴾ سورٌ بينَ الجنَّةِ والنّارِ، سُمّيَ بِذَلِكَ لِارْتِفاعِهِ[2].

3) ﴿بِسِيمَٰهُمْۚ﴾: الواوُ والسّين والميمُ تدلُّ اشتِقاقاتُهُ على معنَى التَّأثير في ظاهِرِ الشَّيْءِ بأثَرٍ لازِمٍ يدُلُّ عليْهِ[3]، والوَسْمُ: التَّأثير، والسِّمة: الأثرُ، تقولُ: وسَمْتُ الشَّيْءَ وسْمًا؛ إذا أثَّرْتَ فيهِ بِسِمَةٍ، ومنه قولُهُ تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾[4] [الفتح: 29].

والسّيما: العلامَةُ، و﴿بِسِيمَٰهُمْۚ﴾ في قولِ اللّه سُبحانَهُ: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَٰهُمْۚ﴾ أي: بعلاماتِهم، وسيما أهْلِ الجنَّةِ: بياضُ وجوهِهم، وسيما أهلِ النّار: سَوادُ وجوهِهِمْ وزُرقةُ أعيُنِهم[5].

4) ﴿يَطْمَعُونَ﴾: الطّاءُ والميمُ والعَيْنُ تدور تصاريفُها على رجاءٍ قويٍّ في القلبِ للشَّيْءِ[6]، والطَّمَعُ: نُزوعُ النَّفْسِ إلى الشَّيْءِ شَهْوَةً لَهُ[7]، ومنه قولُه تعالى: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾، وهو طمَعٌ مسْتَنِدٌ إلى أماراتِ وقوعِ المطموعِ به، فهو مِنْ جنسِ الرَّجاءِ[8].

❁ المعنى الإجْماليُّ:

قِصّةُ الأعرافِ بين الجَنّةِ والنّارِ، وبيانُ حالِ أهلِها بين الخوفِ والشّوقِ والحِوارِ

بيَّنَ اللّه تعالى في هذه الآية، أنَّه يوجد بَيْنَ أصحابِ الجنَّةِ وأصحابِ النّار حاجِزٌ عظيمٌ يُقالُ لَهُ: الأعرافُ، وعلَى هذا الحاجِزِ رِجالٌ يعرفونَ كُلًّا مِنْ أهْلِ الجَنَّة وأهلِ النّار بعَلاماتِهِم؛ كابْيِضاضِ وُجوهِ أهلِ الجَنَّة، واسْوِدادِ وجوهِ أهْلِ النّارِ؛ وهَؤُلاءِ الرِّجالُ قَومٌ قَدِ

(1) ابن منظور، لسان العرب: (نوف).
(2) ابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 168.
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (وسم).
(4) الرّاغب، المفردات: (وسم).
(5) الواحدي، التفسير البسيط: 9/153.
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (طمع).
(7) الراغب، المفردات: (طمع).
(8) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/143.

اسْتَوَتْ حسَناتُهُم وسَيِّئاتهم، وهم يَرْجونَ رَحْمَةَ اللهِ تعالى بهمْ، نادوا أهلَ الجَنَّةِ بالتَّحيَّةِ تكريمًا لهم قائلينَ: سَلامٌ عَلَيْكُم، وأهْلُ الأعْرافِ لَمْ يَدْخُلوا الجنَّةَ بَعْدُ، وهم يَرْجونَ دُخولَها[1].

وتُرشدُ الآية الكريمةُ إلى تقرير مبدأ أنَّ ثِقَلَ الحسناتِ ينجّي يوم القيامة، وأنَّ خِفَّتها تُرْدي، وأنَّ مَن استوَت حسناتُه وسيِّئاتُه ينجو آخرَ مَن ينجو من دخولِ النار، وإلى مشروعيةِ الطَّمعِ إذا كان مُقتضاهُ موجودًا.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

عِلَّةُ وَصْلِ قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ بِما قَبْلَهُ:

اسْتِيعابُ ذِكْرِ أَقْسامِ النّاسِ يَوْمَ القِيامَةِ

وُصِلَ قولُ اللهِ تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ بما قَبْلَهُ؛ لِاشْتراكِهما في الخبريَّةِ، ووجودِ المناسبَةِ بينَهُما وهو الحديثُ عَنْ أحوالِ النّاسِ في الآخرَةِ، فبَيْنَ الجُمْلَتَيْنِ: توسُّطُ بَيْنَ الكَمالَيْنِ؛ لأنَّ اللهَ تعالى لمّا ذكرَ أهلَ الجنَّةِ وأهلَ النّارِ وجزاءَ كُلٍّ، ذكَرَ الحِجابَ المضروبَ بينَهُما وأهلَهُ الذينَ هم عَلَيْهِ.

تَقْدِيمُ مُتَعَلَّقِ الخَبَرِ ﴿وَبَيْنَهُمَا﴾، على المسنَدِ إليه ﴿حِجَابٌ﴾:

بَيانُ أَهَمِّيَّةِ (الأَعْرافِ)

في قَوْلِهِ تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾، قُدِّمَ مُتَعَلَّق الخبرِ (بَيْنَهُما) على المبتدأ ﴿حِجَابٌ﴾؛ لإرادَةِ الاهْتِمامِ بِهَذا المَكانِ المتوسِّطِ بينَ الجنَّةِ والنّار، وما ذُكِرَ مِنْ شَأنِهِ وحالِهِ[2].

سِرُّ التَّعبيرِ بقوله: ﴿وَبَيْنَهُمَا﴾:

الحِجابُ المضروبُ وَسَطٌ بين الجَنَّةِ والنّارِ

آثرَ التَّعبيرَ بقوله: ﴿وَبَيْنَهُمَا﴾ - دون أن يقال: (بينهم) - لأنَّهُ يعود إلى الجنَّة والنّار، وهما اسما مكانٍ، فتصلحُ الإشارة بتوسُّط الحجاب بينهما، وليس بين المؤمنين والكافرين، وإنْ أجازَ بعضُهم ذلك، ورجَّحه ابنُ جُزيٍّ، حيث قال: "أو بَيْنَ أصحابِهما وهو أرجحُ لقوله: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ﴾ [الحديد: 13]"[3].

(1) ابن جرير، جامع البيان: 12/449، ونخبة من العلماء، التّفسير الميسّر، ص: 156.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/140.
(3) ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل: 1/289.

سِرُّ التَّعبيرِ بـ ﴿حِجَابٌ﴾ دونَ (الحاجزِ) أوِ (السّاترِ):

الحِجابُ أعمُّ منَ الحاجزِ والسّاترِ، لأنّه يَحجُبُ ما خلْفَه

عبَّر بالحجابِ دونَ الحاجزِ أو السّاترِ لوجودِ فرقٍ بينهم؛ فالحجابُ هو المانعُ والممنوعُ به، والسّاترُ هو المستورُ به، وفرَّق أبو هلالٍ العسكريُّ بينهما بأنَّ السِّتر لا يمنعُ من الدُّخول؛ والحجابُ يمنع من الدُّخول؛ لذلك كان التَّعبيرُ بالحجاب هنا هو المناسبَ؛ لأنَّ المقصودَ ليس ما يحجبُ البصرَ، وإنَّما يعني به: ما يمنعُ من وصولِ لذَّةِ أهلِ الجنَّة إلى أهلِ النّار، وأذيَّةِ أهلِ النّارِ إلى أهلِ الجنَّة[1].

يؤكِّد هذا قوله ﷻ: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾؛ أمّا الحجزُ؛ فهو المنعُ بين الشَّيئين بفاصلٍ بينهما يمنعُ من كلِّ شيء، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾، وهذا غيرُ مرادٍ هنا في هذا المشهد؛ لأنَّهم يرون بعضَهم بعضًا، وعلى هذا فالحجابُ أعمُّ؛ لأنَّه يكون حسّيًّا ومعنويًّا؛ فالحسّيُّ منه ما يمنع الاستطراق دون الرّؤية، كالزُّجاج، وما يمنع الرّؤية وحدَها، كالسُّتور، وما يمنعهُما جميعًا؛ كالأسوار والحيطان، وهذا الحجابُ بين الجنَّة والنار هو السّورُ المذكور في قوله: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌ﴾ الآية، ومن الحجْب المعنويِّ: منعُ الإرث حرمانًا أو نقصانًا[2].

نُكْتَةُ تَنْكِيرِ ﴿حِجَابٌ﴾:

عَظَمَةُ أحوالِ الآخِرَةِ، ومُبايَنَتُها لمعهودِ النّاسِ في الدُّنيا

في قَوْلِه تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾، نُكِّر ﴿حِجَابٌ﴾ من قَوْلِ اللّهِ سُبحانَهُ: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ لإرادَةِ التَّعظيم[3]، ويجوزُ أن يكونَ التَّنكيرُ لبيانِ النَّوعيَّةِ، أي: بينَ الجنَّةِ والنّارِ نوعٌ منَ الحُجُبِ غَيْرِ المعهودَةِ عِنْدَ النّاسِ.

ولا تنافيَ بينَ الدَّلالَتَيْنِ، بَل إنَّ إحْداهُما تؤيِّدُ الأخرَى وتقوّيها،

(1) الراغب، المفردات: (حجب).
(2) محمد رضا، تفسير المنار: 8/380.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/140.

وذلك أنَّ كونَ التَّنكير لبيانِ النَّوعيَّةِ يقْتَضي تعظيمَهُ وتفخيمَهُ؛ فالحجابُ المضروبُ بينَ الجنَّةِ والنّارِ حجابٌ عظيمٌ، وهو غيرُ المعهودِ عِنْدَ النّاسِ.

دَلالَةُ (ال) فِي لفْظِ ﴿ٱلْأَعْرَافِ﴾:

أَصْـلُ الأَعْـرافِ: ما يُوجَدُ بارِزًا فِي أَعـالِي السُّـورِ؛ لِـرَقـابـةِ حَـرَكَـةِ الأَعْداءِ

اللّامُ في ﴿ٱلْأَعْرَافِ﴾ مِنْ قَوْلِ اللهِ سُبحانَهُ: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْۚ﴾ لِلْعَهْدِ، وهي الأعرافُ المعهودَةُ التي توْجَدُ بارِزَةً في أعالي الأسوارِ؛ ليَرْقُبَ مِنْها النَّظّارَةُ حركَةَ الأعداءِ، وليشْعُروا بهمْ؛ إذا داهَموهم، وهذا العَهْدُ عهدٌ عِلْميٌّ لا ذِكْريٌّ؛ إذْ لم يتقدَّمْ في سورَةِ الأعرافِ ذِكْرٌ للأعرافِ حتَّى يُقالَ: إنَّ العَهْدَ ذِكْريٌّ، فدلَّ هذا على أنَّ العَهْدَ ههنا علْميٌّ، وهو ما يعْهَدُهُ النّاسُ في الأسْوارِ، إلّا أنَّ حقيقتَهُ في الآخِرَةِ غيرُ معروفَةِ الكَيْفيَّةِ؛ لكوْنِها مِنْ أمورِ الغَيْبِ.

ويجوزُ أن تكونَ اللّامُ عِوضًا عنِ المُضافِ إليهِ، كالواردِ في قولِهِ تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: 41] أي: مأواهُ، وكذلك في قولِهِ ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ﴾ أي: وعَلَى أعْرافِ السّورِ[1].

دَلالَةُ التَّعبيرِ بـ ﴿عَلَىٰ﴾ الدّاخلةِ على لفْظِ ﴿ٱلْأَعْرَافِ﴾:

عُلوُّ مكانٍ لا عُلوُّ مَكانةٍ؛ لأنّهمُ الّذين استوتْ حَسناتُهم وسَيّئاتُهم

قوله: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾، عبَّر بالحرف ﴿عَلَىٰ﴾ في قوله: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾، مع أنَّ (على) تفيد الاستعلاءَ في اللُّغة، إلّا أنَّها جاءت هنا بدفعِ توهُّمِ أنَّهم فوق الفريقَين منزلةً، بل المراد من (على) هو العلوُّ الحسّيُّ؛ والمقصودُ أنَّ عُلوَّهم في المكان والموقعِ ليرَوا الفريقَين، لا لعلوِّ المكانة.

سِرُّ التَّعبيرِ بالأعراف دونَ السُّورِ:

عبَّر بالأعراف دون السّور؛ للدَّلالة على أنَّ المرادَ بها الأماكنُ البارزة في أعلى السّور للمراقبة، وهو فيما يسمَّى عادةً (ببرج

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/141.

المراقبة). وفيه إشارةٌ إلى أنَّ الرّجال الّذين على الأعراف يتطلَّعون إلى الأعلى في المنزلة، والمراد هنا الجنَّة، وساعدَ على ذلك أنَّ لفظَ الأعرافِ يُطلق على المكان المرتفع، ومنه عُرْف الدّيك الَّذي هو أعلى شيءٍ فيه، وأيضًا وصفُ اللّهِ حالَهم في قوله: ﴿وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾؛ بأنَّ طمَعَهُم مسْتَنِدٌ إلى أماراتِ وقوعِ المطموعِ به، فهو مِنْ جنسِ رجاءِ ما عندَ اللّهِ الكريم.

أبـراجُ الحِراسةِ الأمنـيَّـةِ سَبْـقٌ قُـرآنيٌّ، مَوجودٌ منذُ آمادٍ بعيدةٍ

دَلالَةُ تَأْخِيرِ المُسْنَدِ إِلَيْهِ ﴿رِجَالٌ﴾ في السِّياقِ:

أُخِّرَ المسنَدُ إليه ﴿رِجَالٌ﴾ مِنْ قَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ لتصحيحِ إيقاعِهِ مبتدأً؛ إذْ هو نكرَةٌ لا مُسوِّغَ لها إلّا تأخيرُها، وإنَّما جيءَ بالمسنَدِ إلَيْهِ نكرةً؛ لأنَّ المقامَ يقْتَضي الحديثَ عن رجالٍ غيرِ معروفينَ، يَكونونَ على أعرافِ هذا السّورِ، فالتَّنكيرُ لإرادةِ عَدَمِ التَّعيينِ[1].

الـقَـصْـدُ تَـبْـيـينُ الـحُـكْـمِ؛ فَـلا يُفْتَقَرُ إِلَى تَعْيِينِ الأَفْرادِ

دَلالَةُ المَجازِ المُرْسَلِ:

الرِّجالُ في قولِ اللّه تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ يُرادُ بهم طائفَةٌ مِنَ الموحِّدينَ قصَّروا في العَمَلِ، فلم يبلغوا درجةَ استحقاقِ دخول الجنة، فيُحْبَسون بينَ الجنَّةِ والنّار، حتى يحكمَ اللّه فيهم[2].

قُـصُـورُ أَصْحابِ الأَعْـــرافِ عَـنْ بُلُوغِهِمْ دَرَجاتِ أَهْلِ الجَنَّةِ

سِرُّ تخصيصِ المجازِ المُرْسَلِ ﴿رِجَالٌ﴾ بالذِّكرِ:

خَصَّ القرآنُ الكريم لفظَ الرِّجال بالذِّكر في قوله: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ لما يحملُه هذا اللَّفظ من العموم في شموله للرَّجل والمرأة، وليس من باب التّقسيم، كما يظنُّ بعضُهم في تخصيصِ الرِّجالِ بالذِّكرِ دلالةً على عَدَمِ وجودِ نساءٍ بين أهلِ الأعرافِ[3]، ولكِنَّ لفظَ الرِّجالِ مجازٌ مرسَلٌ، بعلاقَةِ التَّقييد

إرادةُ الـعُـمـومِ في لفظِ (رجال) لشُمولِه الرَّجلَ والمرأةَ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/141.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/230.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/141 - 142.

والإطلاقِ، وذلك أنَّ الرَّجُلَ لفظٌ خاصٌّ في الأصْلِ بالإنسانِ بِقَيْدِ الذُّكوريَّةِ، فأُطْلِقَ عن هذا القَيْدِ، واستُعْمِلَ في مُطلَقِ الإنسانِ الشّامِلِ للرَّجُلِ والمرأةِ.

وذهب بعضُهم إلى أنَّ المقصود بالرِّجال هنا (الذُّكور)، وذلك بعمَلِهم لعملٍ يختصُّ بالرِّجال دون النِّساء، كالجهادِ؛ وهذا رأيٌ غيرُ دقيق، بل المرادُ الجميعُ، وإنَّما ذكرَ الرِّجالَ؛ لأنَّهم هم الذين يخاطبون أهلَ الجنَّة وأهلَ النّار دون مَن معهم من النِّساء، وهذا من باب التَّكريمِ والتَّصوُّنِ والإجلالِ لهنَّ، والحرصِ على مصلحتهنَّ؛ وفْق مقتضى قِوامةِ الرِّجال على النِّساء.

سِرُّ التَّعبيرِ بالمعرفةِ دونَ العلْمِ:

في قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ آثرَ التَّعبيرَ بالمعرفة؛ لأنَّها أخصُّ من العِلم؛ وضدُّها الإنكار، ولأنَّ المعرفةَ تتعلَّق بإدراكِ الشَّيء بتفكُّرٍ وتدبُّرٍ لأثرِه دون إدراكٍ لذاتِ الشَّيء، ولهذا يُقال: فلانٌ يعرفُ اللّه، ولا يقال: فلانٌ يعلَمُ اللّه، وأيضًا لأنَّ المعرفة تتعلَّق بالظّاهر، ولذلك تجد استعمالَ القرآن يؤكِّدُ ذلك، قال تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ [المطففين: 24]، وقال تعالى: ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ﴾ [البقرة: 273] ونحو ذلك من الآياتِ الَّتي تؤكِّد الفرقَ بين العِلم والمعرفة، لذلك ناسبَ هنا التعبيرُ بالمعرفة؛ لأنَّها مُتعلِّقةٌ بالمحسوسِ الظّاهرِ المكشوف، وهذا واضحٌ في وجوه أهلِ الجنَّة من بياضِ وجوهِهم، ومن سوادِ أهلِ النّار في وجوههم.

المعرفةُ إنَّما تكونُ بالظَّاهرِ، واللّه يَتولَّى السَّرائرَ

سِرُّ التَّعبيرِ بالفعْلِ المضارع ﴿يَعْرِفُونَ﴾:

قوله: ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾، عبَّر بالفعل المضارع ﴿يَعْرِفُونَ﴾ الَّذي يدلُّ على التجدُّد والحدوثِ في موقف أصحاب الأعراف عندما ينادون أصحابَ الجنَّة، وعندما تُصرف وجوهُهم تلقاءَ أصحابِ النّار؛ ففي كلِّ مرةٍ يتَّجهون فيها إلى الفريقَين تتجدَّد معرفتُهم

تجدُّدُ مَعرفتِهم لِسيمَا الفريقَيْن عندَ رُؤيتِهم، مُفيدٌ في الوصْفِ

بسيماهم؛ وفي هذا إشارةٌ إلى ثبوت بياضٍ ونضرة وجوه أهل الجنَّة، وعُبوسٍ وسواد وجوه أهل النّار؛ فالتجدُّد في الرّائي وليس في المرئي.

دَلالَةُ التَّنْوِينِ فِي لفْظِ ﴿كُلًّا﴾:

مَعْرِفَةُ أَصْحابِ الأَعْـــرافِ بِـكُـلِّ فَرِيقٍ مِنْ فَرِيقَيِ الجَنَّةِ والنّارِ

التَّنوين في ﴿كُلًّا﴾ من قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾، عِوضٌ عَنِ المضافِ إليه، وسِياقُ الكلامِ يُعَيِّنُهُ، وهو قولُهُ تعالى قَبْلُ: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾، وتقديرُ قولِهِ: ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾: يعرفونَ كُلَّ فريقٍ من أصحاب الجنَّة وأصحابِ النّارِ بعلاماتِهِمْ، أو: يعرفونَ كُلَّ أصحابِ الجنَّةِ وأصحابِ النّار[1].

دَلالَةُ حَرْفِ الباءِ فِي قولِه تعالى: ﴿بِسِيمَاهُمْ﴾:

سِيمَا أَهْلِ الجَنَّةِ إِكْرامٌ وَتَشْرِيفٌ، وَسِيمَا أَهْلِ النّارِ إِذْلالٌ وَتَحْقِيرٌ

حَرْفُ الجرِّ (الباءُ) في ﴿بِسِيمَاهُمْ﴾ مِنْ قَوْلِهِ تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾، يُرادُ بِهِ المُلابسَةُ[2]، فعلاماتُ كُلٍّ من أهلِ الجنَّةِ وأهْلِ النّارِ مُلابِسَةٌ لَهُم ملازِمَةٌ، فسيما أهلِ الجنَّة ملازِمَةٌ لَهم إكرامًا لهم وتشريفًا لشأنِهم، وسيما أهلِ النّارِ ملازِمَةٌ لهم إذلالًا لهم وتحقيرًا لشأنِهِمْ.

سِرُّ التَّعبيرِ بلفْظِ ﴿بِسِيمَاهُمْ﴾ دونَ لفْظِ (علاماتهم):

السِّماتُ أَخَصُّ مِنَ العلاماتِ، في البيانِ القُرآنيِّ

آثر التَّعبير بـ(سيماهم) في قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾، دون أن يقال: (علاماتهم)؛ لأنَّ السِّمة أخصُّ من العلامة؛ لأنَّها تُطلق على العلامة الخفيَّة الَّتي تتراءى للمستبصر؛ فهي جزءٌ من العلامة، وهذا هو المناسب لسياق الآية في وسمِ أصحابِ الجنَّة وأصحاب النّار، وذلك من خلال الأثرِ النّاتج عن ذلك في الوجه؛ بخلاف العلامة فهي ما يُعرف به المَعْلم من إشارةٍ وغيرها؛ كالحجر تجعلهُ علامةً لدفينٍ تدفنه[3]، أو ما يكون في الأرض من معالمَ يُستدَلُّ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/143.
(2) الآلوسّي، روح المعاني: 4/364.
(3) العسكريّ، الفروق اللّغوية: (سيما).

بها على الطُّرق نهارًا، كما أنَّ النّجوم جعلها علاماتٍ للاهتداء بها ليلًا: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ١٦﴾ [النّحل: 16].

سِرُّ التَّعبيرِ بالنِّداءِ:

نِـداءُ أصحـابِ الأعـــــرافِ، لـلاسـتِرحـامِ والاستِعطافِ

عبَّر بالنِّداء في قوله: ﴿وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ﴾ دون الأذان؛ لأنَّ المقامَ مقامُ تلطُّفٍ واستعطاف، وتضرُّعٍ ورجاء؛ بخلاف الأذان فهو إعلامٌ يحملُ معه الشِّدَّة والتوبيخ، كما سبق في قوله تعالى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، وكما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ﴾ [يوسف: 70].

معنى (أَنْ) في قَوْلِهِ تعالَى: ﴿أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ﴾:

تَـفْـسِـيرُ الـنِّـداءِ وَبَـيـانُ شَـأْنِـهِ، مُـسْـتَـعِـفٌّ في الإبانةِ والبلاغِ

﴿أَن﴾ مِنْ قَوْلِ اللهِ سُبْحانَهُ: ﴿وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ يَحْتَمِلُ أن تكونَ تَفْسيريَّةً، وذلك لِوُرودِها بعدَ فِعْلٍ اشتمَلَ على معنى القَوْلِ دون حروفِهِ، وهو (نادَوْا)، ويَجوز أن تَكونَ (أنْ) مُخفَّفةً مِنَ الثَّقيلَة، ويكونَ اسمُها (ضميرُ الشَّأْنِ) محذوفًا، والتَّقديرُ: أنَّه - أي: الشَّأْنُ والحالُ - سلامٌ عَلَيْكُمْ[1].

سِرُّ التَّعبيرِ بـ ﴿سَلَٰمٌ﴾ دونَ غيرِها في سِياقِ الآيةِ:

الـسَّـلامُ فيه كـلُّ مـعـانِي الأمانِ، وسَوانِحِ الاطْمئنانِ

في قَوْلِهِ تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ﴾، آثرَ التَّعبيرَ بالسَّلام دون غيرِهِ من عبارات التّحية؛ لأنَّه يحملُ أكثرَ من معنًى؛ فإنْ كانتِ المناداةُ بقولهم: سلامٌ عليكم قبل دخول الجنَّة، كان المرادُ الإخبارَ بالسَّلامة من العذابِ، والبشارةِ بالنَّجاة. وإنْ كان بعد دخول الجنَّة؛ فهي تحيةٌ محضة داخلةٌ في عموم قولِهِ تعالى: ﴿لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ٢٥ إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا ٢٦﴾ [الواقعة: 25 - 26][2].

سِرُّ تَنْكِيرِ لفْظِ ﴿سَلَٰمٌ﴾:

نُكِّر لفظُ ﴿سَلَٰمٌ﴾ مِنْ قَوْلِه ﷻ: ﴿وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 5/58، وأبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 6/2848.
(2) رضا، تفسير المنار: 8/383.

عَلَيْكُمْ﴾ لإرادَةِ التَّفخيم والتَّعظيم، فهو سَلامٌ وأمْنٌ عَظيمانِ يَمْنَعانِ وُصولَ أيِّ ضارٍّ ومُنَغِّصٍ إلى أَهْلِ الجنَّةِ[1].

أَهْـلُ الجَنَّةِ في أمْـنٍ وسـلامٍ، لا يَـعـرِضُ لهم ضَررٌ ولا تنغيصٌ

بَلاغَةُ المَجازِ المُرَكَّبِ في: ﴿سَلَمٌ عَلَيْكُمْ﴾:

قَوْلُ اللهِ تعالى: ﴿سَلَمٌ عَلَيْكُمْ﴾ جملَةٌ خبريَّةٌ، يجوزُ أن تكونَ باقيةً على دلالَتِها من إرادَةِ الإخبارِ بنجاتِهِمْ مِنَ المَكارِهِ على وجهِ التَّهنِئَةِ لأهلِ الجنَّةِ، أو المشارَكَةِ لهم في سُرورِهِمْ بالقَوْلِ، وليسَتْ واردَةً على سَبيلِ البِشارَةِ؛ لأنَّ البِشارَةَ تَرِدُ فيما لا يَعْلَمُهُ المُبشَّرُ، فيُعْلَمُ به.

لُـزُومُ السَّلامَةِ والأَمْـنِ لأَهْـلِ الجَنَّةِ، في الحالِ والاستقبالِ

ويَجوزُ أن تكونَ الجملةُ خبريَّةً يُرادُ بها الإنشاءُ؛ وهو الدُّعاءُ والتَّحيَّةُ[2]، وإخْراجُ الدُّعاءِ بصيغَةِ الخَبَرِ، تحقيقٌ لثُبوتِهِ، وأنَّه ممّا يَنْبَغي أن يكونَ واقِعًا ولا بُدَّ؛ ففيه إيماءٌ إلى لُزومِ السَّلامَةِ والأَمْنِ أهلَ الجنَّةِ في جميعِ أحوالِهِمْ ومُسْتَقْبَلِ أوقاتِهِمْ.

ولا تَنافيَ بينَ الدَّلالَتَيْنِ، فيجوز أن يُحْمَلَ اللَّفْظُ عليهما معًا؛ إذِ اللَّفْظُ يجوزُ حَمْلُهُ على حقيقتِهِ ومجازِهِ؛ لكونِ هذا الحَمْلِ ضَرْبًا من ضُروبِ حَمْلِ المُشْتَرَكِ على مَعْنَيَيْهِ أو مَعانيه.

سِرُّ تَعدِيةِ ﴿سَلَمٌ﴾ بـ ﴿عَلَيْكُمْ﴾ دونَ اللّام:

(السَّلامُ عليكَ)، فيه إلقاءُ التَّحيَّةِ، و(السَّلامُ لكَ) فيه الأمانُ الّذي يَكْتنِفُكَ

عُدّيَ سلامٌ بـ (على) دون اللّام لوجود فرقٍ بينهما؛ فإذا قلتَ: سلامٌ عليكم؛ فمعناهُ التَّحيَّة؛ فقولك: سلَّمتُ عليه، أي: ألقَيتُ عليه هذا اللَّفظ تحيَّةً، وأوضَعتهُ عليه إيذانًا باشتمال معناهُ كاشتمال اللِّباس به؛ بخلاف سلامٌ لك، فهو من السَّلامةِ من المكروهِ، وهي مقصودُ العبدِ من الحياة، ولا يتأتَّى ذلكَ إلّا بسَلامتِهِ من الشَّرِّ، وهو بدورِهِ يؤدّي إلى حصولِ الخير، والمعنى: ثبتَ لك السَّلامُ وحصل[3].

(1) البقاعيّ، نظم الدرر: 7/406.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 4/364، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/143.
(3) ابن القيم، بدائع الفوائد: 2/168.

عِلَّةُ فَصْلِ قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا﴾ عَمّا قَبْلَهُ:

الـجَـنَّـةُ مَـآلُ أَصْـحـابِ الأَعْـرافِ، حينَ يلفُّهم الله بعد حينٍ بالألطافِ

فُصِلَ قَوْلُ اللهِ ﷻ: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا﴾ عَمّا قَبْلَهُ؛ لوُقوعِهِ استِئْنافًا بيانيًّا، فيكونَ بينهُ وبينَ ما قَبْلَهُ شِبْهُ كمالِ الاتِّصالِ، وذلك أنَّه لمّا قالَ سُبحانَهُ: ﴿وَنَادَوْاْ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾، وكانَ هذا السَّلامُ رُبما أشْعَرَ أنَّه بعدَ دخولِ أصحابِ الأعرافِ الجنَّةَ، فأورثَ ذلكَ في نَفْسِ المُتَلَقّي سؤالًا؛ وهو: أكانَ نداؤُهُم هذا بَعْدَ مفارَقَتِهِمُ الأعرافَ ودخولِهِم الجنَّةَ؟ فكان الجَواب: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا﴾ أيْ: لم يدخلوا الجنَّةَ بَعْدُ[1]، ويَجوزُ أن تَكونَ الجملةُ السّابقَةُ مثيرَةً لسؤالٍ آخرَ، وهو: ما مصيرُ أصحابِ الأعرافِ؟ أإلَى الجنَّةِ صائرونَ أمْ إلى غيرِها؟ الجوابُ: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾[2] أي: لَم يدخلوها بعدُ، والحالُ أنَّهم يطمَعونَ في دُخولِها.

نُكْتَةُ التَّعْبِيرِ بِالفِعْلِ المُضارِعِ ﴿يَطْمَعُونَ﴾:

شِـدَّةُ رَجـاءِ أَصْحابِ الأَعْرافِ فِي اللهِ تَعالَى وَرَحْمَتِهِ، تُفْضِي بهم إلى الجنّةِ

في التَّعْبيرِ بالفِعْلِ المُضارِعِ ﴿يَطْمَعُونَ﴾ مِنْ قَوْلِ اللهِ سُبحانَهُ: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ إشعارٌ بتجَدُّدِ طَمَعِهِم في دُخولِ الجَنَّةِ لِشِدَّةِ رجائِهِم في اللهِ تعالى ورَحْمَتِهِ، ولم يجعلِ اللهُ الطمعَ في قلوبهم إلّا لما يريدُ بهم من كرامتِه[3].

دَلالَةُ الاعْتِراضِ فِي قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾:

رجـاءُ أَصْحـابِ الأَعْـرافِ في المولَى، يَجعلُهم بِجنّتِه ورحمتِه أولَى

جملةُ ﴿وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ جملةٌ حاليَّةٌ من ضميرِ الفاعِلِ في ﴿يَدْخُلُوهَا﴾، وهذه الجملةُ مع جملةِ ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا﴾ معترِضَتانِ بَيْنَ قولِهِ تعالى: ﴿وَنَادَوْاْ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ وقَوْلِهِ سُبحانَهُ: ﴿۞وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾[4] [الأعراف: 47]،

(1) البقاعيّ، نظم الدرر: 7/406.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/143.
(3) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 290.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/143.

والغَرضُ مِنَ الاعْتِراضِ بيانُ قوَّةِ رَغْبَتِهم وطمَعِهم فيما عِنْدَ اللهِ تعالى مِنَ الجزاءِ الحسَنِ والعَفْوِ الجَميلِ.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(الطَّمَعُ) و(الرَّجاءُ) و(الأَمَلُ):

الأمـلُ انتـظارٌ، والرَّجاءُ ترقُّبٌ، والطَّمَعُ حِرْصٌ

مادَّةُ الأمَلِ تدورُ حولَ معنَى التَّثَبُّتِ والانتظارِ[1]، ولفظُ الرَّجاءِ قَدْ يَرِدُ مرادًا به الخَوْفُ، كما في قولِ اللهِ تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: 13] أي: لا تخافون للهِ تعالى عَظَمَةً[2].

وأمّا الطَّمَعُ؛ فخصَّهُ ابنُ فارسٍ بالرَّجاءِ القَويِّ[3]، وزاد ابنُ سيدَه في الطَّمَعِ معنى الحِرْصِ[4].

وحاصِلُ كلامِ اللُّغويّينَ أنَّ بينَ الألفاظِ الثَّلاثَةِ - الأمَلِ والرَّجاءِ الطَّمعِ - تقارُبًا دَلاليًّا؛ إذْ جميعُها دالٌّ على توقُّعِ الخبَرِ، إلّا أنَّ الأمَلَ يتميَّزُ بمَلْمَحِ طولِ الزَّمَنِ وبُعْدِ المَطْلوبِ؛ لأنَّ أصلَ مادَّتِهِ دالَّةٌ على التَّثَبُّتِ والانتظارِ، ويَرِدُ الرَّجاءُ في معانٍ قَدْ تُبْعِدُهُ عن نَظيرَيْهِ - الطَّمعِ والأمَلِ - كمجيئِهِ في معنَى الخَوْفِ والمبالاةِ، وأمّا الطَّمَعُ؛ فيتَمَيَّزُ بقوَّةِ الرَّغبَةِ وقُرْبِ المطلوبِ والحِرْصِ عَلَيْهِ[5].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أمل).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رجو).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (طمع).
(4) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم: (طمع).
(5) مُحمَّد داود، معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، ص: 71 - 74.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث عشر، سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 13 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-09-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 13 : سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-09-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6551762 بتاريخ 2023/12/20م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»